Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« الألمان ينقرضون »

فى عام ١٩٨٠ ذكر المستشار الألمانى هيلموت شميت فى إحدى خطبه السياسية، أن الأزمة الدولية التى كانت سائدة فى غضون ذلك العام تشبه الموقف العالمى فى شهر أغسطس ١٩١٤ عندما نشبت الحرب العالمية الأولى. وبعد هذا التصريح، أرسل أربعة من الأدباء الألمان إلى المستشار الألمانى رسالة مفتوحة حاولوا فيها أن يقولوا للمستشار ولحكومته، إن عليهم أن يذكروا دائما المسئولية الخاصة التى تقع على عاتق الألمان نحو السلام، إذ أنهم عرّضوا القارة الأوروبية للدمار من خلال حربين. وقد كان جونتر جراس واحدا من الأدباء الأربعة الذين اشتركوا فى هذه الرسالة، التى جاء فيها أن الحرب العالمية الأولى بدأت فى مدينة سراييفو اليوغوسلافية، والحرب الثانية بدأت فى مدينة دانتسيج الألمانية، والآن يقولون إن الحرب الثالثة ستبدأ فى طهران.

هذه الكلمات مستقاة من الكتاب الذى أصدره جونتر جراس بعنوان «*الألمان ينقرضون*»، وهو كتاب روائى يعالج الموقف السياسى الدولى إلى جانب الأشياء الأخرى. إن جونتر جراس ـ بالرغم من عنوان كتابه ـ لا يريد أن يدخل الرعب إلى قلب القارىء، ولكنه يطرح سؤالا عاما بقوله:

> «ولماذا أتنازل عن هواياتى وحبى للحياة، ولماذا أقول الوداع لربات الشعر والأدب لمجرد أن أمريكا والاتحاد السوفيتى علمتانا أن نشعر بالرعب والفزع، ومنذ حرب فيتنام وغزو السوفيت لتشيكوسلوفاكيا حاولتا أن تمليا إرادتهما علينا؟ إننا إن فعلنا ذلك فمعناه أننا نحترم القوة الغاشمة، وأننا نقبل سياستهما اللاأخلاقية. إن الحرب دمرت دانتسيج، أما أنا فأستطيع أن أعيد بناءها بالكلمات وحدها. لا يستطيع أولئك الأقوياء أن ينافسونى، وأنا أنكر قدرتهم على منعى من الكتابة».

فى هذا العمل يتبلور نتاج مخيلة جونتر جراس الذى يصطدم بالحقيقة باستمرار. إن خياله يحاول أن يهرب من الحقيقة، إلا أن الحقيقة تطارده دائما.

يحدثنا المؤلف عن زوجين يعملان بالتدريس يرحلان إلى الشرق الأقصى، ولكن قبل رحيلهما يعملان فى لجنة للدعاية الانتخابية للحزب الاشتراكى الديموقراطى. ويتناقش الزوجان فيما إذا كان عليهما أن ينجبا أطفالا فى هذا العالم، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف ومتى وتحت أى ظروف يمكن أن يفعلا ذلك؟ هل سترغمهما الظروف على إنجاب الأطفال لمنع الألمان من الانقراض؟